التيهرتي بكر بن حماد...
بداية النشأة والتأسيس للأدب العربي في المغرب الكبير

أ. جمال سعادنة

قسم اللغة العربية وآدابها

-جامعة تبسة

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على شخصية بكر بن حماد التيهرتي باعتباره واحدا من أبناء المغرب الأوائل الذين كان لهم فضل الإسهام في التأسيس للأدب العربي بمنطقة المغرب الكبير؛ وذلك بإبراز عوامل نبوغه، وما تتسم به شخصيته من مناقب أعانته على البروز، والتألق، ثم التعريف بتراثه الشعري الذي لم يصلنا منه إلا القليل.

وقد خلصت هذه الدراسة إلى أن بكر بن حماد تهيأت له جملة من الظروف التي أحسن استثمارها، فتبوأ بذلك مقاما رفيعا بعلمه وزهده وتواضعه في تقبل النقد، وجرأته في اتخاذ الموقف وتوجيه النقد، كما كان في طليعة المبدعين المغاربة الأوائل الذين تشهد تجربتهم الإبداعية على المرحلة الأولى لتأسيس الأدب العربي في بلاد المغرب التي كانت يومئذ حديثة العهد بالإسلام ومن ثم باللغة العربية وفنونها، ومع ذلك تمكن شاعرنا من خوض تجربته الإبداعية بكل جرأة وتميز وثقة بالنفس فلم يجعل من شعره أدبا رسميا تابعا للدولة الرستمية التي تأسست بموطنه تيهرت، ولم يستصغر نفسه فيخجل بإبداعه وهو يقف أمام فطاحل الشعر في بلاد المشرق بل كان شعره معبرا عن تجربته وقناعته وبه فرض ذاته في المنجز الشعر، العربي القديم.

Summary:

This study aims at putting the light on Baker Iben Hammed personality –form Tihret, Algeria- as far as he was one of the first Maghriben sons whom we owe all thanks in participating to found the Arabic Literature in the big Maghreb region and that by focusing on the factors that led to his appearance and all what characterize his personality of richness which helped him to appear and to be brilliant. After that, this study introduces his poetic treasure of which we had received only few.

The study concluded that Baker had well exploited some of available circumstances, by which he ascended a high prestige in science and asceticism and humility to accept criticism, and courage to take a position and giving critic.

As he was in the forefront of the first maghreben creators who's their creative experience was witness of the first phase of establishment of Arabic literature in the Maghreb, which was at that time recently embraced Islam and then Arabic language and their arts, and though our poet was able to run his creative experience with courage, uniqueness and self-confidence, and he didn't make from poetry official literature suborinat to the Rustamid state founded in his native « Tihart », and he didn't despise himself with his invention standing between the famous poets in the east, but his poetry was expressive about his experience and his conviction with which he imposed himself in the code of ancient Arabic poetry.

مقدمة

لقد اقترن ظهور الأدب العربي في بلاد المغرب بالفتح الإسلامي؛ حيث عمل الفاتحون على التأسيس لتقاليد ثقافية تستقي مرجعيتها من روافد جديدة لا عهد للسكان الأصليين بها، حيث ارتبطت هذه الثقافة في جانبها الأدبي بالموروث العربي، وفي جانبها الروحي ارتبطت بالإسلام.

وعليه فالأدب العربي المغربي في بداية النشأة كان بأقلام الفاتحين، وبقدر ما كان نتاجهم متجذرا في الموروث، فهو حالة طارئة على منطقة المغرب التي لم يتمكن أهلها في بادئ الأمر من التعاطي معها لا من حيث التناول والإبداع، ولا من حيث التلقي والتداول، جراء جهلهم للغة العربية، ولما ارتبط بها من فنون، ومع مرور الزمن تمكنت العربية في المنطقة، وتوطدت أركانها، فكان من الطبيعي أن نشهد بداية الإبداع الأدبي باللسان العربي الذي تبنته أقلام أبناء المغرب الأصليين، وبذلك لم يعد الأدب العربي حالة طارئة أو وافدة على المنطقة وعلى أبنائها، بقدر ما أصبح حالة ناشئة بدأت في التجذر لأن الناظم أو المبدع صار يبث في أدبه خصوصية المنطقة في موروثها وفي راهنها الروحي والسياسي والاجتماعي.

ولعل من أبناء المغرب الأوائل الذين ساهموا في التأسيس للحركة الأدبية ببلادهم، وكانوا شاهدين على بداية نضجها نجد بكر بن حماد الزناتي التيهرتي موضوع هذه الدراسة، التي عرفت بنسبه ومولده، وأشارت إلى أهم العوامل التي ساعدت على نبوغه، مع إبراز مقامه ومنزلته العلمية والأدبية، وبعض مناقبه، ثم إلقاء نظرة عامة على تراثه الشعري الذي لم يصلنا منه إلا القليل مع أنه شاعر مكثر.

مشكلة الدراسة وتساؤلاتها :

لقد ولد ونشأ بكر بن حماد في بيئة مغربية حديثة العهد باللغة العربية، وما ارتبط بها من فنون، فقدر لإبداعه أن يأتي في سياق تاريخي ليكون شاهدا على البواكر الأولى للنص الشعري العربي في بلاد المغرب وبأقلام أهلها من السكان الأصليين.فهل أثر ذلك على نبوغه، ونضج شاعريته؟ وهل كانت له الاستعدادات الذاتية، وتهيأت له الظروف الموضوعية التي تعينه على رفع التحدي، وتدارك ما في بيئته من تأخر في التعاطي مع الواقع الثقافي الجديد الذي أفرزه الفتح الإسلامي؟ وهل التراث الشعري القليل الذي وصلنا عن بكر بن حماد يعني بالضرورة أنه شاعر مقل؟

أهميتها: إن الإجابة عن تلك التساؤلات، من شأنها أن تحدد أهمية هذه الدراسة التي أراها تتمثل في كونها:

1- لا تتوقف عند حد السرد التاريخي لبعض الأحداث، والوقائع المتعلقة بسيرة بكر بن حماد، بل تسعى إلى تحليلها، واستنطاقها للخلوص إلى ما تتسم به شخصيته من مهارات، واستعدادات أهلته لأن يسهم في التأسيس لبواكر الأدب العربي في بيئته، التي تعد حديثة العهد بالإسلام وباللغة العربية.

2- تقدم بين يدي القارئ أشعارا أخرى لبكر بن حماد ، لم يرد ذكرها في مدونة الدر الوقاد بوصفها جامعة لأشعاره، بل إن هذه الأشعار التي تقدمها الدراسة لم يرد ذكرها – حسب اطلاعي – في كثير من المدونات التي اهتم أصحابها بالشعر المغربي القديم.

أهدافها: أما أهداف هذه الدراسة فتتمثل في محاولة:

1- تسليط الضوء على حياة الشاعر بكر بن حماد، ومن ثم التعرف على ما يميز شخصيته.
2- إبراز دوره في التأسيس للأدب العربي بالمغرب الكبير.
3- التعريف بتراثه الشعري في شكله العام.

منهجها: وقد جمعت هذه الدراسة بين المنهج التاريخي والوصفي والتحليلي؛ ذلك لأن موضوعها يقتضي عرض السياق التاريخي، وأهم الظروف والملابسات التي أحاطت بحياة هذه الشخصية، ثم وصف وتحليل ما توفر لدى الباحث من نصوص تاريخية وشعرية، تفضي به إلى خلاصات ونتائج تميط اللثام عن شخصية بكر من جهة، وتعرف بشعره من جهة ثانية.

أولا: نسبه ومولده: جاء في البيان المغرب أنه " أبو عبد الرحمن بكر بن حماد بن سهر بن أبي إسماعيل وهو زناتي ".[1]وقد جاء في معالم الإيمان، وفي

[1]- المراكشي ابن عذارى، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح: ج. سي كولانوا. ليفي بونقسال – دار الثقافة بيروت، د.ط، د.ت ج1، ص 153.

طبقات علماء إفريقية أنه " أبو عبد الرحمن بكر بن حماد بن سمك بن إسماعيل الزناتي التيهرتي".[1]

ونلاحظ أن المراجع الثلاث وهي قديمة قد اتفقت على كنيته؛ فهو أبو عبد الرحمن، وعلى اسمه؛ فهو بكر؛ وعلى والده فهو حماد، ثم يظهر أول اختلاف حول اسم جده الأول؛ إذ جاء في البيان المغرب أنه (سهر)، بينما جاء في المعالم وفي الطبقات أنه (سمك)، أما ثاني اختلاف فقد كان بخصوص ذكر أو حذف (أبي) من الجد الثاني؛ حيث قال صاحب المغرب:(سهر بن أبي إسماعيل) بينما قال كل من صاحب الطبقات، وصاحب المعالم : (سمك بن إسماعيل) .

وقد نجم عن اختلاف بعض المتقدمين في تحديد اسم الجد الأول لبكر بن حماد، وفي ذكر أو حذف (أبي) من الجد الثاني، اختلاف بعض المتأخرين الذين حاولوا التعريف بهذا الشاعر؛ فمنهم من قال:(سمك بن إسماعيل)[2] استنادا إلى ما جاء في المعالم وفي الطبقات، ومنهم من قال:(صهر أو سهر أو سهل بن أبي إسماعيل)[3]استنادا إلى ما جاء في البيان المغرب. ولعل عدم إرساء قرار الفئة الثانية من المتأخرين على تسمية محددة للجد الأول، ووقوفها مترددة بين:(صهر وسهر وسهل) لا يستند إلى أي مصدر أو مرجع قديم، وذلك لعدم إشارتهم إليه، ومن ثم فالأمر قد يكون مرده،التباسا في النطق، أو الكتابة جراء تقارب الحروف وتجاورها في الأسماء الثلاث السابقة.

---

[1]- الدباغ أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري، **معالم الايمان في معرفة أهل القيروان**، أكمله وعلق عليه: أبو الفضل قاسم بن عيسى بن ناجي التنوفي (839 هـ)، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور وآخرين، مطبعة السنة المحمدية مكتبة الخانجي، مصر، ط 2 /1968 م، ج 2 ، ص281.
القيرواني أبو العرب بن أحمد بن تميم، **طبقات علماء افريقية وتونس**، تح: علي الشابي ونعيم حسن البياني، (الدار التونسية للنشر،1968)، ص. 246.

[2]- الميلي مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مكتبة النهضة الجزائرية، د.ط/1350، ج 2، ص 70. بونار رابح، **المغرب العربي تاريخه وثقافته**، ط 3 (الجزائر: دار الهدى، عين مليلة، د.ت)، ص 88.

[3]- الجيلالي عبد الرحمن بن محمد، **تاريخ الجزائر العام**، ط7،(ديوان المطبوعات الجامعية، 1994 م،ج 1، ص. 179.
شاوش محمد بن رمضان، **الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد**، (الجزائر: المطبعة العلوية مستغانم1966)، ص. 43.

وعلى كل أرى أن الأرجح والأقرب إلى الصواب هو ما جاء في كتاب الطبقات وكل من حذا حذوه على اعتبار أن صاحب هذا الكتاب كان معاصرا لشاعرنا.[1]

وقد ولد بكر بن حماد بتيهرت حوالي سنة 200 هـ[2] واستطاع أن يقول الشعر المتين الذي يقف في وجه فطاحل الشعر وأعلامه في القرن الثالث الهجري وهو لم يتجاوز العشرين سنة بعد".[3]

ترى ماهي العوامل والظروف التي تهيأت لهذا الشاعر حتى تحقق له النبوغ المبكر فكان نابغة من نوابغ العصر ؟

ثانيا: **عوامل نبوغه**: بداية لا بد من الإشارة إلى أن أول وأهم عامل من عوامل النبوغ هو ذاتي بالدرجة الأولى، يتعلق بذات الشاعر وما فطرت عليه من استعدادات، ومهارات إبداعية، تجذرت ونمت إلى أن تفتقت قريحة الإبداع، وما كان لهذه الملكة أن تنضج لو لم تتهيأ لها جملة من الظروف والعوامل الموضوعية التي أحاطت بها ومن أهمها :

1- نشأته في حاضرة تيهرت الرستمية التي شجع أمراؤها الحركة الفكرية حتى دعيت " عراق المغرب"[4]وقد برزت تيهرت كمركز ثقافي مشهور في المغرب العربي خلال القرن الثالث الهجري[5]بفضل أمرائها الذين كانوا من العلماء البارزين ولهم نصيب وافر من العلم[6]ونشأة شاعرنا بكر بن حماد في مثل هذه الأجواء كان كافيا لأن يحفزه على تحصيل المعارف فيرحل طالبا لبغيتها.

---

[1]- توفي بكر بن حماد سنة 296 هـ وتوفي أبو العرب صاحب الطبقات سنة 333 هـ.
[2]- الجيلالي عبد الرحمن، المرجع السابق، ج 1، ص 179.
[3]- السائحي محمد الأخضر بكر بن حماد شاعر المغرب العربي في القرن3 الهجري، **منشورات وزارة الثقافة والسياحة**،(الجزائر:الرغاية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية،1986)، ص.9.
[4]- اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب واضح، البلدان، مطبعة النجف ط 3/دت ص. 104 والميلي مبارك، المرجع السابق، ج 2، ص. 76.
[5]- الجنحاني، تاهرت، المجلة التونسية، عدد 40، ص. 40.
[6]- الدرجيني أبو زكريا، **الطبقات، مخطوط**، ج 2، ص 57، نقلا عن بحاز إبراهيم بكير، **الدولة الرستمية، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية**، د.ط،(الجزائر: مطبعة لافوميك، د.ت)، ص 264.

2- حله وترحاله الذي بدأ سنة 217 هـ وهو حدث السن؛ حيث حل بالقيروان ثم رحل إلى المشرق فحل بمصر وبالعراق[1]كما شد رحاله أيضا إلى مدينة كرت بالمغرب الأقصى حيث الأدارسة.[2]

ولا شك في كون هذه الرحلات قد ساهمت في نبوغ شاعرنا، وتعميق تجاربه في الحياة،وتوسيع أفقه؛ فهو لم يتنقل بين هذه الأمصار طالبا النزهة، بل تنقل بينها، وجاب أطرافها طالبا العلم، وربما طالبا الشهرة والبروز أيضا؛ فأما طلبه للعلم فلأنه قصد الحواضر العلمية الكبرى، وأما طلبه للشهرة فلأنه قصد عاصمة الخلافة بغداد، وطرق باب الخليفة المعتصم ما دحا فوصله بصلات جزيلة[3]وما من شك في ذيوع الصيت لأي شاعر كانت له الحظوة في بلاط المسؤول الأول على رأس أقوى دولة في العالم آنئذ .

3-التقاؤه ببعض الفطاحل من شعراء القرن الثالث الهجري من أمثال : أبي تمام، حبيب بن أوس الطائي، أبي الحسن علي بن الجهم ودعبل بن علي الخزاعي وغيرهم من شعراء العراق ولاشك أنه قد جالس أيضا من هم عريقون في عروبتهم، وهو حينها شاب في مقتبل العمر[4]. وهذا ما صقل موهبة الشعر لديه.

4-تردده على مجالس العلماء من أهل الفقه والحديث؛ فقد سمع بالمشرق من ابن مسدد[5] الذي كتب عنه مسنده ورواه عنه بتيهرت[6]. كما سمع من عمرو بن مرزق وبشر بن حجر.[7]

أما بالقيروان فقد سمع من أبي سعيد سحنون حبيب التنوخي، ومن عون بن يوسف الخزاعي،[1] كما سمع أيضا من محمد بن معاوية الخضرمي الطرابلسي.[2]

---

[1]- المالكي أبو بكر عبد الله، **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم وعبادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم**، قام على نشره حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية، 1951، ج1، ص409.

[2]- البكري أبوعبيد، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، وهو جزء من كتاب **المسالك والممالك**، ج2، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2003) ص. 314.

[3]- المراكشي بن عذارى، المرجع السابق، ج1، ص 154.

[4]- المرجع نفسه، ص. 154.

[5]- هو أبو الحسن ابن مسدد بن مسرهد الأسدي المحدث بالبصرة توفي سنة 228 هـ (ينظر السمعاني أبو سعد عبد الكريم، الأنساب طبع بالهند ط1، 1962 م، ج1، ص. 215 – 216.

[6]- السمعاني، المرجع السابق ، ج3، ص 09.

[7]- من محدثي البصرة وعلمائها في القرن الثالث الهجري. (البكري ، المرجع السابق ، ص 67).

هذه بعض العوامل التي أرى أنها قد ساهمت بقسط كبير في نضج شخصية بكر بن حماد في مجالي الشعر وعلم الحديث، ولاشك في وجود عوامل موضوعية أخرى تكون قد ساهمت في نبوغ شاعرنا.

ثالثا: منزلته العلمية والأدبية: إن المقام العلمي والأدبي الذي بلغه بكر بن حماد شهد به بعض المتقدمين، وأقره بعض المتأخرين، ولكن قبل هؤلاء وأولئك، تشهد له بذلك جهوده في تلقين المعارف لغيره، بعد أن اجتهد في تحصيلها وتلقينها من غيره؛ فقد أخذ الحديث عن بكر بن حماد عدد من العلماء؛[3] منهم قاسم بن أصبغ[4]الذي كتب مسند مسدد بن مسرهد عن بكر[5]ومنهم قاسم بن عبد الرحمن التميمي التيهرتي.[6]كما أخذ عنه ابنه عبد الرحمن.[7]

ومن شهادات المتقدمين المؤكدة لسمو مقام بكر بن حماد باعتباره محدثا وشاعرا . قول ابن عذارى فيه: " ...وكان عالما بالحديث وتمييز الرجال، وشاعرا مفلقا ".[8]

---

[1]- عون بن يوسف لخزاعي من القيروان كان أسن من سحنون بعشر سنين، مالكي المذهب، كان رجلا صالحا ثقة مأمونا توفي سنة 239 هـ (القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، تحقيق أحمد بكير محمود، ج1، (بيروت: دار مكتبة الحياة، 1967م)، ص ص.627 - 629.

[2]- محمد بن معاوية الطرابلسي وهو من أصحاب مالك، وله عنه سماع، سمع من مالك بن أنس **موطأه**، ثقة مشهور مخضرم القرنين الثاني والثالث الهجري، القاضي عياض المرجع نفسه، ج1 ، ص 490.

[3]- القاضي عياض، المرجع السابق، ج1، ص 473، ج2، ص 93 – 334 – 447.

[4]- قاسم بن أصبغ فقيه من فقهاء قرطبة البارزين توفي سنة 240 هـ المقري أحمد بن محمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح إحسان عباس، د.ت.(بيروت: دار صادر، 1968)، ج2 ص. 49.

[5]- الدباغ، معالم الإيمان، ج2، ص. 282.

[6]- قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد التميمي التيهرتي محدث تيهرتي، رحل إلى الأندلس سنة 317هـ وأقام بقرطبة وبها توفي، ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبد الملك، كتابالصلة، مراجعة عزت العطار الحسيني مكتبة المثنى بغداد دط/1374 هـ، 1955م، ج1 ص. 86 نقلا عن بحاز إبراهيم بكير، المرجع السابق، ص. 310.

[7]- هو أبو زيد عبد الرحمن بكر بن حماد محدث من أهل تيهرت، إذ رحل إلى الأندلس، وحدث بقرطبة وكتب عنه غير واحد من حديث أبيه توفي سنة 295 هـ (الدباغ ، المرجع السابق، ج2، ص. 282 والسمعاني، المرجع السابق، ج2، ص. 9.

[8]- المراكشي بن عذارى، المرجع السابق، ج1، ص 154.

وقول أبي عبيد البكري:"... وكان ثقة مأمونا حافظا للحديث"[1] وقول الدباغ:"... وكان عالما بالحديث وتمييز الرجال، ثقة، مأمونا، ثبتا، صدوقا، إماما حافظا".[2]

وقول ياقوت الحموي:"... وكان بتاهرت من حفاظ الحديث وثقات المحدثين المأمونين".[3]

إن وجود مثل هذه الشهادات في بطون المراجع القديمة التي حفظت لنا أيضا بعضا من جهود بكر في تلقي العلوم وتلقينها، كان كافيا لأن ينتزع إقرار واعتراف المتأخرين بهذه المكانة آخذين بعين الاعتبار السياق التاريخي، الذي برز بكر في خضمه، وكذا طبيعة المنطقة وخصوصيتها. من حيث كونها حديثة العهد بالإسلام وبالعربية.

ومن بين المؤرخين المتأخرين الذين أشاروا إلى منزلة بكر بن حماد نجد الشيخ مبارك الميلي الذي قال في سياق الحديث عنه:" إن الشاعر يحتاج إلى عناية أدبية، وغيرة وطنية وقومية حتى يؤدى له حقه في مجالي الأدب والشعر، والحديث والسنة "[4] كما نجد الشيخ عبد الرحمن الجيلالي الذي قال في خاتمة حديثه عن بكر بن حماد:" وكان رحمه الله يعد بحق في طبقة كبار حملة العلم والأدب، ونقلة المعرفة إلى هذا المغرب العربي"[5] ومن بين المؤرخين والدارسين الذين أكدوا أيضا مبلغ بكر من العلم والأدب نجد رابح بونار الذي قال عن بكر في سياق حديثه عن الشعراء المطبوعين في الجزائر:" إن هذه الشخصية هي أنبغ شخصية في الشعر الغنائي بالمغرب العربي عامة، ولا نجد نظيرها في عمق تفكيرها وأصالتها البيانية، وامتلاكها لموهبة شعرية محترمة إلا في الأندلس... ويحق لمؤرخ الأدب في هذا العصر أن يصرح بأن ظهور بكر بن حماد في القرن الثالث... هو أكبر مفخرة للأدب

---

[1]- البكري،المرجع السابق، ج2، ص.248.
[2]- الدباغ، المرجع السابق، ج2، ص. 282.
[3]- شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، **معجم البلدان**، ج2، د.ط (لبنان: بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1979)، ص. 08.
[4]- الميلي مبارك،المرجع السابق، ج2، ص. 71.
[5]- الجيلالي عبد الرحمن ، المرجع السابق، ج1، ص 180.

العربي المغربي"[1] وقد أكد هذا الحكم محمد الطمار الذي قال في بكر:" ولعمري أنه له أن يقال عنه: شاعر المغرب العربي، وأنه فريد عصره في ميدان القريض".[2]

ومن النقاد والدارسين المعاصرين الذين أكدوا بدورهم علو شأن بكر بن حماد نجد الناقد والأديب الجزائري عبد المالك مرتاض الذي يرى أن بكر بن حماد " هو أكبر الشعراء الجزائريين طوال القرون الأولى للهجرة، بل وربما عد من أكبر الشعراء الجزائريين على وجه الإطلاق"[3] ويضيف قائلا: "إن بكر بن حماد كان أول شاعر جزائري يوقع عقد ميلاد الأدب العربي في الجزائر على النحو المكتمل، وهذا في حد ذاته حدث كبير، وشأن عظيم"[4] وهذا الشيخ بوقربة يبدي أسفه لحظ شاعرنا الضئيل من الدراسات الحديثة فيقول:" ربما كان بكر بن حماد أقل الشعراء إثارة في الدراسات الحديثة، على الرغم من شهرته التي طارت في الآفاق".[5]

وقد كان لبعض المتأخرين الذين اهتموا بجمع أشعار بكر بن حماد آراء ومواقف تجل هذا الشاعر، ويأتي في صدارتهم محمد بن رمضان شاوش الذي أورد في مقدمة الدر الوقاد قوله هذا:"...فإنا نقدم للقراء عموما وللأدباء خصوصا، ولأدباء الجزائر بصفة أخص أول شاعر عربي أنجبته أرض الجزائر منذ أحد عشر قرنا وهذا الشاعر الفحل هو أبو عبد الرحمن بكر بن حماد الزناتي"[6] وقد جاء أيضا في المقدمة الخاصة بالموسوعة التاريخية للشباب التي خصت عنوانا من عناوينها للشاعر بكر بن حماد قول شاعرنا محمد الأخضر السائحي: " فبكر بن حماد استطاع أن يقول الشعر العربي المتين الذي يقف في وجه فطاحل الشعر وأعلامه في القرن الثالث الهجري، وهو لم يتجاوز العشرين سنة بعد... إنه الشاهد على أول مساهمة للشعب الجزائري في الحضارة العربية الإسلامية".[7]

---

[1]- بونار رابح، المرجع السابق، ص 87 – 88.
[2]- الطمار محمد، **تاريخ الأدب الجزائري**، د.ط (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،1981)، ص. 37.
[3]- مرتاض عبد المالك، **الأدب الجزائري القديم دراسة في الجذور**، د.ط (الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر،2001)، ص.139.
[4]- نفسه، ص. 139.
[5]- بوقربة الشيخ، بنية الخطاب الشعري مرثية بكر بن حماد لابنه نموذجا، **الفضاء المغربي**، مجلة دورية يصدرها مخبر الدراسات الأدبية والنقدية أعلامها في المغرب العربي، (الجزائر: جامعة تلمسان، العدد 01 جوان 2002)، ص. 149.
[6]- شاوش،المرجع السابق، ص 05.
[7]- السائحي، المرجع السابق، ص 09.

وعلى كل فإن التنويه بمنزلة بكر بن حماد لم يكن مقتصرا على المؤرخين والباحثين الجزائريين فحسب بل نوه نظراؤهم من الوطن العربي الكبير بهذا الشاعر؛ ومن هؤلاء نذكر عبد العزيز نبوي الذي تحدث عن بكر فقال : " يبدو أن شاعرنا كان صاحب شخصية معتدلة، ومزاج مستقيم، لا تصرفه المغريات عما استقر في نفسه ووجدانه، إذ يخلو شعره خلوا من أي أثر لحياة اللهو والمجون والشراب، رغم مروره بالقيروان، وإقامته ببغداد... فهو نموذج سوي لشخصية أهل المغرب الأوسط"[1] ويقر حسن حسني عبد الوهاب بفضل بكر الكبير على منطقة المغرب العربي قائلا:"وقد حمل عنه أبناء إفريقية رواية الحديث، وكذا دواوين شعر المعاصرين الذين اجتمع بهم في رحلته إلى المشرق، ولذلك كان يعد من كبار نقلة العلم و الأدب إلى المغرب "[2] وقد أكد محمود علي مكي في سياق حديثه عن تعدد جوانب الثقافة لبكر بن حماد" أن هذا التعدد مما يزيدنا إعجابا بهذا الأديب الجزائري العالم، فقد اعتدنا على أن يكون شعر المحدثين والفقهاء،ثقيلا جافا لا يفيض بهذه الحياة والحساسية اللتين تفيض بهما أبيات بكر".[3]

رابعا: بعض مناقبه: إن بعض صفات ومناقب بكر بن حماد التي أود أن أوردها، سأستند في استخلاصها إلى بعض أشعاره، وإلى بعض الروايات القديمة المتعلقة به كمحدث وكشاعر، ومن هذه الصفات :

1-التواضع والتنكر للأنا: وهذه صفة لابد أن يتحلى بها كل عالم ينشد الحقيقة، بعيدا عن أي ميل أو مزاج شخصي، وقد حفظت لنا كتب التاريخ من بين ما حفظت روايتين متعلقتين ببكر بن حماد وفيهما يتضح لنا جليا تواضعه أمام إدراك الحقيقة وإن أخذها من غيره، وكانت مخالفة لما كان يعتقده صوابا.

وأول هاتين الروايتين ما جاء في رياض النفوس:" وقال أحمد: دخل بكر بن حماد فتحدث عندي ساعة. فقلت له:" إيش قلت؟ " فقال: قلت هذه الأبيات :

نـهَارٌ مُشْرِقٌ وظلامُ لَيْلٍ ألـحَـَا بالبَيَـاض وبالسَّـوَادِ

---

[1]- نبوي عبد العزيز، **محاضرات في الشعر المغربي القديم**، دط (ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1983) ص. 130.

[2]- حسن حسني عبد الوهاب، **ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية**، دط (تونس: مطبعة المنار،1965)، ص.256.

[3]- علي مكي محمود، شاعر المغرب العربي التاهرتي في القرن الثالث الهجري، **مجلة العربي** العدد 53 ص 84 (نقلا عن السائحي ،المرجع السابق – ص 88)

هُمَا هَدَمَا دَعَائِمَ عُمْرِ نُوحٍ وَلُقْمَانَ وَشَدَّادٍ وَعَادِ
فَيَا بَكْرُ بْنُ حَمَّادٍ تَعَجَّبْ لِقَوْمٍ سَاقِرُوامِنْ غَيْرِ زَادِ
تَبِيتُ عَلَىٰفِرَاشِكَ مُطْمَئِنًّا كَأَنَّكَ قَدْ أَمِنْتَمِنَ المَعَادِ
فَيَا سُبْحَانَ مَنْ أَرْسَى الرَّوَاسِي وَأَوْتَدَهَا عَلَى السَّبْعِ الشِّدَادِ

قال أحمد بن أبي سليمان : فلما انتهى إلى هذا البيت قلت له:" أمسك، رفعت الجبال، فوق السموات، وأنزلت السموات تحت الجبال!" فقال لي:"وكيف ذلك؟"فقلت له:" اقرأ سورة عم يتساءلون، فقرأها حتى انتهى إلى قوله تعالى:(وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا)[1]. فقال لي:" والله لقد أنشدته بالعراق ومصر وتاهرت والقيروان، فما فهمه أحد، وقد كسرته أنت فأصلحه" فقلت له:" أفلا قلت فأوتدها مع السبع الشداد؟" قال: فقال لي:" قد أصلحتَ ما أفسدتُ"[2] أما الرواية الثانية فقد أوردها القرطبي في تفسيره وخلاصتها: أن بكر بن حماد اختلف مع قاسم بن أصبع في كلمة من حديث نبوي، ولما تحاكما إلى شيخ كان موجودا بالجامع الذي وقع فيه الحدث، ودار الجدل. ظهر خطأ بكر بن حماد وإصابة قاسم بن أصبغ، فأخذ بكر بأنفه، وراح يقول: رَغُمَ أنفي للحق[3] وعلق المقري على هذه الرواية التي أوردها في نفحه نقلا عن القرطبي بقوله: "هذه الحكاية دالة على عظيم قدر الرجلين رحمهما الله تعالى".[4]

إن الروايتين السابقتين تؤكدان بصريح اللفظ أن بكر بن حماد ليس من طينة الذين يكابرون بما لديهم من العلم، إلى درجة قد تأخذهم العزة بالإثم إن بدا زللهم، وصواب غيرهم، وحسبه أن يكون ذلك دليل تواضعه؛ فهو حريص على تمجيد الحقيقة العلمية، بدل تمجيد الذات التي استصغرها وهون من شأنها أمام قداسة الحقيقة الساطع نورها، الدامغة حجتها، ومن بين الأمور التي تؤكد أيضا تواضع بكر؛ هو عدم العثور في المتوفر من أشعاره على نماذج فخرية تمجد الذات.

2- **الجرأة في غير كبرياء:** إنما يؤكد جرأة بكر بن حماد وثقته بنفسه يمكننا أن نوجزه في المظاهر الآتية المستخلصة مما توفر لدينا من سيرته ومواقفه:

---

[1]- سورة النبأ، الأية 12.
[2]- المالكي، المرجع السابق، ج1 ص. 409 .
[3]- القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن.** تحقيق أحمد عبد العليم البردوني، دار إحياء التراث العربي دط/دت ج1 ص. 287.
[4]- المقري أحمد بن محمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تح إحسان عباس، ج2، د.ط (لبنان: بيروت، دار صادر1968)، ص. 49.

أ. إن شاعرنا على الرغم من حداثة سنه تجشم مشاق السفر، متنقلا بين الأمصار؛ حيث حواضر العلم والأدب، مصرا على إبلاغ كلمته، وإسماع صوته، تعبيرا عن وجوده؛ فصغر سنه، وبعد موطنه، ونسبه البربري لم يكن حائلا بينه وبين التنقل إلى تلك الحواضر العريقة في عروبتها وفي صدارتها عاصمة الحواضر بغداد.

ب. إن شاعرنا بالرغم من كونه تيهرتي المولد والنشأة لم يجعل من شعره أدبا رسميا؛ أي لسان حال الدولة الرستمية ذات التوجه الخارجي الإباضي، التي تأسست بتيهرت بل جعل من شعره لسان حال لقناعاته الشخصية التي تبدي معارضة صريحة للمرجعية المذهبية التي قامت عليها الدولة الرستمية في تيهرت، ولعل أحسن ما يثبت ذلك قصيدته الهجائية لتي رد بها على إمام الخوارج عمران بن حطان.[1] ومعارضا بها قصيدته التي يهجو فيها الإمام علي – كرم الله وجهه – ويمدح قاتله الخارجي عبد الرحمن بن ملجم[2] ومن ما جاء في مطلع قصيدة بكر قوله :[3]

قُلْ لابْنِ مُلجِم والأقْدَارُ غَالبـة هَدَمْتَ وَيْلَكَ للإسْلام أرْكـانَا
قَتَلْتَ أفضَلَ مَنْ يمْشِي عَلى قدَمٍ وأوَّلَ النَّاس إسْلامـاً وإيمَانَا

إلى أن قال وهو ساخط على ابن ملجم المجرم، وعمران بن حطان المشيد بالجرم:[4]

فَلا عَفَا اللهُ عَنْهُ مَا تَحَمَّلـهُ وَلا سَقَى قَبْرَ عِمْرَانَ بْـنِحِطـانَا
لِقولِهِ فِي شَقِـيّظُـلَّ مجْـتَرمًا وَنالَ مَا نَالـهُ ظُـلْمًـا وعُـدْوانَا
يَا ضَرْبَةً مِنْ تَقيّ مَا أرَادَ بهَا إلا لِيَبْلُغَ مِنْ ذِي العَرْش رضْـوانَا
بَلْ ضَرْبَةً مِنْ غَوِيّ أوْرَثتْهُ لظًى مُخَلَّدً قَدْ أتَـالرَّحْمَنَ غَضْبَانَا

ج. لقد نشأ بكر بن حماد في وسط حديث العهد باللغة العربية، التي كان أدبها هو الآخر يحيا الطور الأول لنشأته في هذا الوسط، ومع هذا لم يكن ذلك باعثا على ارتباك شاعرنا أو شعوره بالنقص وهو يحل بوسط عريق في تقاليده الثقافية وفي رصيده اللغوي والأدبي فتراه قد وقف ندا في وجه واحد من فحول شعراء

---

[1]- عمران بن حطان هو أحد رؤوس الخوارج وهو من أشهر دعاتهم وخطبائهم وشعرائهم توفي سنة 89 هـ، البغدادي،خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، بولاق، د.ت ، ج2، ص .436.
[2]- للاطلاع على القصيدة ينظر المرجع نفسه، ج2، ص. 436.
[3]- البغدادي، المرجع نفسه، ج2، ص436،437 وشاوش، المرجع السابق، ص. 62 .
[4]- شاوش، المرجع السابق، ص 66 .

المشرق ألا وهو دعبل بن علي الخزاعي" ولا شك أن بكر بن حماد كان كبير الثقة بنفسه حينما تعرض لهذا الشاعر الذي عرف بشدة عارضته وذرابة لسانه، لا سيما إذا قدرنا أن دعبل كان يكبر شاعرنا التيهرتي بأكثر من خمسين سنة".[1]

ومما جاء في قصيدة بكر وهو يحرض الخليفة المعتصم على دعبل قوله :[2]

أَيَهْجُو أَمِيْرَ المُؤْمِنِينَ وَرَهْطَهُ وَيَمْشِي عَلَى الأَرْضِ العَرِيضَةِ دِعْبَلُ
أَمَا وَالَّذِي أَرْسَى ثَبِيْرً امَكَانَهُ لَقَدْ كَانَتِ الدُّنْيَا لِذَاكَ تَزَلْزَلُ
وَعَاتَبَنِي فِيهِ حَتبيبُ وَقَالَ لِي لِسَانُكَ مَحْذُورٌ وَسُمُّكَ يَقْتُلُ
وَإِنِّي وَإِنْ صَرَفْت فِي الشِّعْرِ مَنطِقِي لأَنْصِفُ مِمَّا قُلتُ فِيهِ وَأَعْدَلُ

وعليه فإن هذا الشاعر " الذي كان يستطيع مزاحمة ذلك الجيل من شعراء الدولة العباسية لابد أن يكون قد بلغ حدا بعيدا من الإجادة "[3]ومن ثم كان هذا عاملا محفزا لأن يظهر من الجرأة والشجاعة ما يمكنه من أن يتخذ لنفسه موقعا في المشهد الأدبي العربي آنئذ .

3- الزهد والانصراف عن الدنيا : إن زهد بكر بن حماد أملته عدة عوامل وظروف؛ منها ما يتعلق بطبيعة تكوينه الديني الذي من شأنه أن يعمق فيه النزعة الروحية، ومنها ما يتعلق بفقد ابنه عبد الرحمن وقبل ذلك لابد أن نشير إلى أن بكرا كغيره من أهل المغرب لديه ميل فطري إلى الترفع عن الانغماس في المجون، أو الاستجابة للنزوات[4]. وقد كان شعره خير ترجمان لزهده؛ حيث نجد فيه الموعظة الحسنة، كما نجد استشعار الموت، بالشكل الذي يحد من درجة التعلق بالدنيا، والانسياق خلف متاعها الزائل؛ فالزهد بالنسبة إليه ليس مجرد سلوك عفوي تلقفه من طبيعة بيئته الاجتماعية، بل إن بكرا يمارس الزهد عن وعي وإدراك والأكثر من ذلك أنه منظر له وداع إليه من خلال أشعاره الزهدية التي توفر لنا بعضها في مدونة " الدر الوقاد.[5]

---

[1]- علي مكي محمود، المرجع السابق، ص. 81. (نقلا عن السائحي: المرجع السابق، ص. 79).
[2]- شاوش، المرجع السابق، ص. 70.
[3]- علي مكي محمود، المرجع السابق، ص 80،81 .نقلا عن السائحي: المرجع السابق، ص 78.
[4]- نبوي عبد العزيز، المرجع السابق، ص 92
[5]- شاوش ، المرجع السابق، ص 75 – 82

وفي ختام هذا العنصر أشير إلى أن لبكر صفات أخرى اشتهر بها وهي صفات ارتبطت به كمحدث؛ فهو صدوق، ثقة مأمون حافظ.[1]

خامسا: وفاته:"سعي به إلى إبراهيم بن أحمد الأمير فخرج هاربا من القيروان يريد تاهرت بلده فلما صار بسباطة خرج عليه قطاع الطريق فقتل ولده عبد الرحمان وجرح بكر جراحات عدة فما زال في بطنه فتق منها إلى أن مات"[2]. بقلعة ابن حمة شمال مدينة تيهرت، وكان ذلك في شوال من سنة 296هـ ، وهو يوم مات ابن ست وتسعين سنة، وقد صلى عليه فقيه من فقهاء مدينة تيهرت يدعى موسى بن الفارسي الفقيه.[3] وهذا الفقيه المالكي كما يقول بحاز إبراهيم بكير:"لا نعرف عنه إلا اسمه وهو موسى بن الفارسي أو الباديسي الفقيه، لكن تقديمه لكي يؤم صلاة الجنازة على مثل بكر بن حماد في العلم، دليل على رسوخ قدمه هو الآخر في العلم، وإن كانت كتب التراجم المالكية لا تضيف شيئا عما ذكرناه"[4] يضيف بكير.

سادسا : شعره: بما أن بكر بن حماد اقترن ذكره بلقب الشاعر، فلا بد أن يكون قد خلف وراءه إرثا شعريا معتبرا، لكن هذا الإرث – للأسف – لم يتوفر لنا منه إلا النزر القليل، وهو أمر يثير الدهشة والغرابة؛ إذ كيف يعقل – على حد تعبير السائحي– أن يشتهر هذا الرجل بكونه شاعرا، وما من متحدث يذكره إلا وسمه بالشاعر، ثم لا نعثر له على ديوان يضم أشعاره التي ملأت الدنيا[5] ؟

ولا شك أن الكثير من أشعاره إن لم تكن مفقودة فهي مغمورة، تنتظر عناية الباحثين علها ترى النور، ومن القرائن والشواهد التي تؤكد أن بكرا كان شاعرا مكثرا، وقد قدر لشعره أن يكون مغمورا نجد هذه الشواهد التي عثرت عليها في بطون كتب مختلفة:

---

[1]- الدباغ، المرجع السابق، ج2 ، ص 282
[2]- المالكي، المرجع السابق، ج2، ص 21.
[3]- المراكشي بن عذارى، المرجع السابق، ج1، ص 153 – 154 .
[4]- بحاز إبراهيم بكير ، المرجع السابق، ص. 323.
[5]- السائحي، المرجع السابق، ص. 11.

1- لقد أورد ابن عذارى المراكشي شهادة بخصوص علاقة بكر بن حماد بالأمير أحمد بن القاسم[1]جاء فيها قوله:"وله فيه أمداح كثيرة"،[2] وعليه إن كان المتوفر بين أيدينا من أشعار بكر لا يحتفظ إلا بمقطوعة من ستة أبيات يمدح فيها هذا الأمير، فأين تلك الأمداح الكثيرة التي تحدث عنها ابن عذارى ؟ الذي تحدث في موضع آخر عن علاقة بكر بالخليفة المعتصم فقال:"مدح المعتصم ووصله بصلات جزيلة"[3]فالأمر إذا يتعلق بصلات لا بصلة واحدة، مما يؤكد تردد بكر على بلاط المعتصم وما يقتضيه ذلك من تعدد وتنوع مدائحه له.

فأين هي تلك القصائد التي مدح بها شاعرنا الخليفة المعتصم، وكانت وراء تلك الصلات الجزيلة التي وصله بها.

2- إن أشعار بكر المتوفرة بين أيدينا هي مقطوعات في معظمها، وقد يكون بعضها مبتورا عن أبيات سابقة أو أخرى لاحقة، وللتدليل على ذلك لنا أن نتأمل أول بيت في مقطوعة ترثي ابنه عبد الرحمن:[4]

وَهَوَّنَ وَجْدِي أَنَنِي بكَ لاحِقٌ أَنَ بَقائي فِي الحَيَاةِ قَلِيْلُ

فقد علق عبد العزيز نبوي على هذا البيت بقوله:"إذ يبدو أن هذا البيت عطف على قول سابق".[5]

3- وقد جاء في كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب للبكري قوله:"وفي ذلك يقول بكر بن حماد في شعر طويل":[6]

سَائِلْ رُوَاغَةَ عَنْ فِعَالِ سُيُوفِهِ وَرِمَاحِهِ فِي العَارِضِ المُتَهَلِّلِ
وَدِيَارُ نَفْزَةَ كَيْفَ دَاسَ حَرِيمَهَا وَالخَيْلُ تَمْرَعُ بالوَشِيحِ الذُّبَّلِ
عَمَّتْ مَغِيلَةَ بالسُّيُوفِ مَذِلَّةٌ وَسَقَى جَرَاوَةَ مِنْ نَقِيْعِ الحَنْظَلِ

---

[1]- أحمد الأكبر بن القاسم ابن إدريس وهو المعروف بالكرتي كان له علم وقدر بالمغرب وهو الذي استجلب بكر بن حماد إلى المغرب (البكري، المرجع السابق، ص 130)
[2]- المراكشي بن عذارى، المرجع السابق، ج1، ص. 236.
[3]- المرجع نفسه، ج1، ص. 154.
[4]- شاوش، المرجع السابق، ص. 89.
[5]- نبوي عبد العزيز، المرجع السابق، ص. 141.
[6]- البكري، المرجع السابق، ج2، ص 327.

فالبكري أشار إلى أن قول بكر بن حماد كان في شعر طويل لكن لم يورد في كتابه من هذا الشعر الطويل سوى تلك الأبيات الثلاث.

4-جاء في كتاب الورقات لحسن حسني عبد الوهاب أن بكرا مدح الأمراء الأغالبة"بقصائد ضربنا عن ذكرها".[1] إن هذا القول فيه تعبير صريح على أن قصائد بكر في مدح الأغالبة كانت في متناول صاحب الورقات لكنه استغنى عن ذكرها، وليته لم يفعل ! لأن المتوفر بين أيدينا من شعر بكر بن حماد لم يضم ولا قصيدة أو مقطوعة في مدح الأمراء الأغالبة.

5- ومن الشهادات التي أراها على قدر كبير من الأهمية بخصوص أشعار بكر المغمورة أجد شهادتين تثبتان الوجود الافتراضي لديوان شعري ينسب إلى بكر بن حماد.

فالشهادة الأولى أوردها بحاز إبراهيم بكير في إحدى هوامش كتابه: الدولة الرستمية وهذا نصها: " لقد قال لي أحد الاخوة من سكان ولاية تيهرت أن إمام جامع تيهرت المتوفي قبل سنوات عثر في تركيا على ديوان شعر لبكر بن حماد الزناتي".[2]

أما الشهادة الثانية فهي لعادل نويهض الذي تحدث عن وفاة بكر بن حماد، ثم أردف حديثه بقوله: " له ديوان شعر كبير عثر عليه في بلاد فارس".[3]

وعلى كل فإن شعر بكر حتى وإن ظل موضع التباس في جانبه الكمي، فإن مالا يمكن أن يكون موضع جدل واختلاف هو تنوع أغراضه بين الرثاء والمدح والهجاء والاعتذار والزهد ... وغيرها من الأغراض الشعرية التي توزعت نماذجها على صفحات بعض المراجع القديمة[4]وقد جمع بعضها بفضل جهود المهتمين[1]بالأدب

---

[1]- عبد الوهاب حسن حسني، المرجع السابق، ص. 256.
[2]- بحاز إبراهيم بكير، المرجع السابق، هامش ص 236.
[3]- نويهض عادل، **معجم أعلام الجزائر**، (بيروت: منشورات المكتب التجاري، 1971)، ص. 54 .
[4]- أشعار بكر بن حماد يمكن العثور عليها في المراجع القديمة الآتية ، القيرواني أبو العرب **الطبقات** ص. 246 . البكري، المغرب، ج2، ص 248- 327 – الدباغ، معالم الإيمان، ج2 ص 282 – 283 – المالكي، **رياض النفوس**، ج1 ص 507-508، ج2، ص. من 22 إلى 26- 420-421– السبكي تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي، **طبقات الشافعية الكبرى**، تحقيق محمود محمد الطناجي– عبد الفتاح محمد الحلو، (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي 1964) ج1 ص 288–289، البغدادي، خزانة الأدب، ج2 ص. 436–437– المراكشي بن عذارى، **البيان** المغرب، ج1 ص. 153 – 154 – 200.

المغربي القديم عموما، وبالأدب الجزائري على وجه الخصوص، وبشعر بكر بن حماد بصفة أخص، ويأتي في صدارة هؤلاء محمد بن رمضان شاوش جامع مدونة الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد. حيث بلغت عدد الأبيات الشعرية المنسوبة إلى بكر في هذه المدونة عشرة أبيات بعد المئة وهي لا تمثل بطبيعة الحال مجموع التركة الشعرية لشاعرنا ولعل ما يؤكد ذلك هو عثوري على أشعار أخرى تكمل بعض المقطوعات الواردة في مدونة الدر والوقاد، ولتأكيد ذلك لنا أن نستشهد على سبيل المثال لا الحصر بهاتين المقطوعتين:

الأولى: في رثاء ابنه عبد الرحمان حيث لم ينقل محمد بن رمضان شاوش في الدر الوقاد سوى ثلاث أبيات هي:[2]

وَهَوَّنَ وَجْدِي أَنَنِي بكَ لاحِقُ وَأَنَّ بَقَائِي فِي الحَيَاةِ قَلِيلُ
وَأَنْ لَيْسَ يَبْقى لِلحَبيبِ حَبيبُهُ وَلَيسَ بِبَاقٍ لِلخَلِيلِ خَلِيلُ
وَلَوْ أَنَّ طُولَ الحُزْنِ مِمَّا يَرُدَّهُ لَلازَمَنِي حُزْنٌ عَلَيْهِ طَوِيلُ

في حين أن صاحب رياض النفوس قد أورد المقطوعة ذاتها في سبعة أبيات هي:[3]

وَهَوَّنَ وَجْدِي أَنَنِي بكَ لاحقُ وَأَنَّ بَقَائِي فِي الحَيَاةِ قَلِيلُ
وَأَنْ لَيْسَ يَبْقى لِلحَبيبِ حَبيبُهُ وَلَيسَ بِبَاقٍ لِلخَلِيلِ خَلِيلُ
وَلَوْ أَنَّ طُولَ الحُزْنِ مِمَّا يَرُدَّهُ لَنَادَمَنِي حُزْنٌ عَلَيْهِ طَوِيلُ
بَلَى رُبَّمَا دَارَت عَلَى القَلبِ لَوْعَة فَيُرْجِعَهَا صَبرٌ هُنَاكَ جَمِيلُ
تَبَدَّدَ مَا قَدْ كَانَ مِنْكَ مُجَمّعًا وَجَلَّلهُ رَمْلٌ عَلَيْكَ مَهِيْلُ
فَلا عَلَمٌ يُنْبِيكَ أَيْنَ مَحَلُهُ وَلا جَدَثٌ يُشْفِي عَلَيْهِ غَلِيلُ
فَلا أَعْظُمٌ قَدْ بُدِدَتْ وَمَفَاصِلُ تَمِيْلُ بِهَا الأَرْيَاحُ حَيْثُ تَمِيلُ

والثانية: في تحسره على ندرة الأفعال الخيرة، ونبذه للغيبة، فمحمد بن رمضان شاوش لم ينقل من هذه المقطوعة في الدر الوقاد سوى أربع أبيات هي: [1]

---

[1]- من الذين اهتموا أيضا بجمع أشعار بكر نجد بونار رابح الذي جمع له في كتابه المغرب العربي تاريخه وثقافته ص. 90،96 كما نجد السائحي في كتابه، بكر بن حماد شاعر القرن الثالث الهجري، حيث اعتمد على بعض الكتب التاريخية والدراسات الأدبية الحديثة التي تطرقت لبكر بن حماد وشعره متتبعا كل جديد قد يتفرد به هذا الكتاب أو ذاك بخصوص بكر وشعره .

[2]- شاوش، المرجع السابق، ص 89.

[3]- المالكي، المرجع السابق، ج2، ص 420-421.

لقدْ جَفَّتِ الأقلامُ بالخَلقِ كلِّهِمْ فمِنْهُمْ شَقِيٌّ خَائِبٌ وَسَعِيدُ
تَمُرُّ اللَّيَالِي بالنُّفوسِ سَرِيعَةً وَيُبْدِئُ رَبّي خَلْقَهُ وَيُعِيدُ
أرَى الخَيْرَ فِي الدُّنيَا يَقِلُّ بكَثْرَةٍ وَيَنقَصُ نُقصًا وَالحَدِيثُ يَزِيدُ
فلَوْ كَانَ خَيْرًا قلّ كَالخَيْرِ كلِّهِ وَأحْسِبُ أنَّ الخَيْرَ مِنْهُ بَعِيدُ

في حين أن صاحب الكفاية في علم الرواية قد أضاف بيتين آخرين إلى هذه المقطوعة وإن لم يورد بيتيها الأول والثاني فجاءت عنده على النحو الآتي: [2]

أرَى الخَيْرَ فِي الدُنيَا يَقِلُ بكَثْرَةٍ وَيَنْقصُ نُقصًا وَالحَدِيثُ يَزِيدُ
فلَوْ كَانَ خَيْرًا قلّ كَالخَيْرِ كُلِّهِ وَأحْسِبُ أنَّ الخَيْرَ مِنهُ بَعِيدُ
وَلابْنِ مُعينٍ فِي الرّجَالِ مَقالَة سَيُسْأَلُ عَنْهَا وَالمَلِيكُ شَهِيدُ
فَإنْ تَكُ حَقّا فَهْيَ فِي الحُكمِ غَيْبَة وَإنْ تَكُ زُورًا فالقِصَاصُ شَدِيدُ

وبالإضافة إلى ما سبق عثرت على مقطوعة من ستة أبيات يرثي فيها بكر بن حماد أمير المؤمنين على بن أبي طالب –كرم الله وجهه- وذلك في كتاب الجوهرة في نسب الإمام علي وآله لصاحبه محمد بن أبي بكر الأنصاري، والمقطوعة هي: [3]

وَهَزَّ عَلِيّ بالعِرَاقيْنِ حَيَةً مُصيبْتُهَا جَلّتْ عَلَى كلّ مُسْلِمِ
فَقَالَ: سَيَأتِيهَا مِنَ اللهِ حَادِثٌ وَيُخْضبُهَا أشْقَى البَرِيَةِ بالدَّمِ
فَبَاكَرَهُ بالسَّيْفِ شُلّتْ يَمِينُهُ لِشُؤْمِ قطَامٍ عِنْدَ ذَاكَ ابْنِ مُلْجِمِ
فَيَا ضَرْبَةً مِنْ خَاسِرٍ ضَلَّ سَعْيُهُ تَبوّأ مِنْهَا مَقْعَدًا فِي جَهَنّمِ
فَفَازَ أمِيرُ المُؤْمِنِينَ بحَظّهِ وَإنْ طُرِقَتْ فِيهِ الخُطُوبُ بمُعَظّمِ
ألا إنَّمَا الدُنيَا بَلاءٌ وَفِتْنَة حَلاوَتُهَا شِيبَتْ بصَابٍ وَعَلْقَمِ

كما عثرت له أيضا على مقطعة أخرى من سبعة أبيات في موضوع الزهد وهي[3]:

أيا بكر بن حماد وشيكا كأنك دعيت فلا تجيب
لكل غاية يسعى إليها وللساعات في الدنيا دبيب

---

[1]- شاوش، المرجع السابق، ص 75.
[2]- الحافظ أبي أحمد بن علي المعروف بالخطيب البغدادي ، الكفاية في علم الرواية، تحقيق وتعليق: أحمد عمر هاشم، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1/1405هـ-1985م، ص 55.
[3]- الأنصاري محمد بن أبي بكر المعروف بالبر، الجوهرة في نسب الإمام علي وآله، تحقيق: محمد التونجي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط1/1402هـ-1982م، ص 118.
[3]- مجهول، العيون والحدائق في أخبار الحقائق، تحقيق عمر السعيدي، مطبعة دمشق، د ط / 1972 م ص 141.

إذا مرض الفتى قالوا: الطبيب وهل أودى به إلا الطبيب
وتبكي للغريب، وكل حي يذوق الموت في الدنيا غريب
فعزّ النفسَ عما حال فيها فلن يبقى البغيض ولا الحبيب
بُدُورُ أهِلَّةٍ ونجومُ ليلٍ وشمسٌ كلما طلعت تغيب
على فرح وحزن وانتقال وما يأتي من الدنيا قريب

وله قصيدة أخرى في تمجيد أهل العلم لم يرد ذكرها هي الأخرى في الدر الوقاد وهي[1]:

رأيتُ العلمَ صاحبُه شريف وإنْ ولدته آباء لئام
وإن طِلابَه حق على من له عقل وليس به سَقام
فإما عالما يغدو وإما إلى التعليمِ يخرجك اغتنام
وليس يزال يرفعه إلى أن يُعظم قدرَه القومُ الكرام
ويتبعونه في كل أمر كراعي الظأن تتبعه السَّوام
ويُحمل قوله فى كل أفق ومن يك عالما فهو الإمام
فلولا العلم ما سعدت نفوس ولا عُرف الحلال ولا الحرام
فبالعلم النجاةُ من المخازي وبالجهل المذلة والرغام
هو الهادي الدليل إلى المعالي ومصباح يضيء به الظلام
كذلك عن الرسول أتى عليه من الله التحية والسلام

كما وجدت له بيتا آخر في انقسام الناس إلى أحزاب وشيع وهو[2]:

تغاير الناس فيما ليس ينفعهم وفرق الناس آراء وأهواء

وله في الغزل هذا البيتان[3]:

خُلِقنَ الغواني للرجال بليةً فهن موالينا ونحن عبيدها

إذا ما أردنا الورد في غير حينه أتتنا به في كل حين خُدُودُها

وبذلك يصبح عدد الأبيات التي يمكننا إضافتها إلى أبيات مدونة الدر الوقاد اثنين وثلاثين بيتا ليصبح العدد الإجمالي للأبيات المتوفرة لدينا من شعر بكر اثنين

---

[1]- ابن عبد البر، **جامع بيان العلم وفضله**، د.ط.(بيروت: دار الكتب العلمية، 1978) ص. 54.
[2]- نفسه ج1 ص 144.
[3]- ابن الأبار، **الحلة السيراء**، وضع حواشيه وعلق عليه إبراهيم محمود، (بيروت: دار الكتب العلمية 2008) ص. 101.

وأربعين بعد المئة، وأملنا أن يوفق الباحثون للحصول على أشعار أخرى لهذا الشاعر ولم لا الحصول على مخطوط لديوانه بالشكل الذي يتيح للدارسين إمكانية بناء تصور عام حول تجربته الشعرية بكامل تداعياتها وتجلياتها خاصة وأن إمكانية الحصول على ديوانه متاحة للباحث في ظل توفر بعض المعلومات التي تشير إلى وجوده كمخطوط في تركيا وفي إيران.

وأخيرا بما أن هذه الدراسة لا تروم تناول شعر بكر بن حماد بالنقد والتحليل، بقدر ما تروم التعريف بشخصيته، وتسليط الضوء على بعض أشعاره المغمورة، التي لم ترد في مدونة الدر الوقاد، فإنني أكتفي بتقديم بعض الملاحظات بخصوص ما يميز تجربته الشعرية بشكل عام:

1- على مستوى الموضوعات:

أ. باستقراء ما توفر لدينا من أشعار بكر اتضح أنه قد طرق معظم الأغراض التقليدية من مدح، ورثاء، وهجاء، ووصف، وزهد ... وغيرها

ب. إن شعره في عمومه ينقل لنا خلاصة تأملاته وتجاربه في الحياة وتقلباتها ومآلاتها.

ج. يعد الرافد الديني أكثر حضورا وتأثيرا في تحديد التوجه العام لمعاني أشعاره ومضامينها.

2- على مستوى البناء الفني:

أ. لا نعثر لبكر على قصائد مطولة مما يعني عدم نظمه القصائد المركبة، وما تقتضيه من تعدد الموضوعات في النص الواحد، ومن ثم يمكن القول: إن شاعرنا وحسب ما توفر لدينا من أشعار لا يمتلك نَفسًا طويلا في النظم ، ولعل ما يؤكد ذلك هو كون ما وصلنا من شعره في معظمه مقطعات، بل إن أطول قصائده تشتمل على ستة عشر بيتا فقط.

ب. وبخصوص الموسيقى اختار شاعرنا من الأوزان ما ينسجم مع موضوعاته، ومع إيقاع عصره، وانتقى لقوافيه أحرف الروي الأكثر شيوعا في عرف الشعر العربي، وأكثرها تناغما مع مشاعره.

ج. إن المعجم الذي ميز لغته الشعرية اتسم بظواهر عدة؛ كالمصاحبات اللغوية، وتكثيف المعجم القرآني، ثم التكرار مع تنويع الصور المكررة، والاستدعاء المكثف لشخصيات من الزمن السابق بشكل يكشف عن المجال الحضاري الذي تتحرك فيه تجربته الشعرية.

د. أما على مستوى التصوير؛ فإن لغة الشاعر تكاد تكون في عمومها تقريرية مباشرة بسبب اعتنائه بالمعنى، ومع ذلك لا يخلو شعره من توظيف بعض الصور المجازية التي تنم عن براعة شاعرنا واقتداره في بناء وشائج جديدة بين ماهيات الأشياء، وتصويرها من منطلق الإحساس بها.

خاتمة

مما سبق تبين لنا أن بكر بن حماد لم يتعثر تأثرا بما قد يحد أو يحول دون تفاعله مع الثقافة الوافدة التي لم تكن متجذرة في بيئته كما كان الحال في بلاد المشرق، بل كان له من الإرادة والجرأة وطول النفس، وحسن الاستثمار لما أحاط به من ظروف، وأتيح له من فرص ما جعله يتبوأ مقاما علميا وأدبيا رفيعا، فكان من أبرز الشعراء والمحدثين في منطقة المغرب الكبير خلال القرن الثالث الهجري.

أما عن ندرة أشعاره فهي لا تعني أنه شاعر مقل، بل هو شاعر مكثر؛ لكن قُدِّرَ لشعره أن يكون مغمورا ومفقودا، شأنه شأن الكثير من شعراء المنطقة الذين ظلمتهم الذاكرة، وتنكرت لهم الأقلام. وقد آن لنا أن نبرز موروثنا ليرى النور فيكون مبعث عزنا وفخرنا ومنطلق إقلاعنا الثقافي في راهننا وفي غدنا، إذ كيف لأمة تنشد النهضة وهي تتنكر أو تجهل موروثها وما يختزنه ماضيها من محتوى ثقافي ومخزون حضاري يمثل مرتكزا لكل وثبة طموحة جادة.

بيبليوغرافيا

القرآن الكريم.
1- ابن الأبار، الحلة السيراء، وضع حواشيه وعلق عليه إبراهيم محمود، دار الكتب العلمية بيروت ط 1 / 1429 هـ 2008م.
2- ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، دار الكتب العلمية بيروت د ط/1978 م ج .1
3- الأنصاري محمد بن أبي بكر المعروف بالبر، الجوهرة في نسب الإمام علي وآله، تحقيق: محمد التونجي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط1/1402هـ-1982م.
4- بحاز إبراهيم بكير،الدولة الرستمية،دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، مطبعة لافوميك، الجزائر، د.ط ، د.ت.
5- البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب – بولاق، ط1، د.ت ، ج2.
6- البكري أبو عبيد، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1/ 2003م -1424هـ، ج2.
7- بوقربة الشبخ، بنية الخطاب الشعري مرثية بكر بن حماد لابنه نموذجا، الفضاء المغربي، مجلة دورية يصدرها مخبر الدراسات الأدبية والنقدية أعلامها في المغرب العربي، جامعة تلمسان (الجزائر)، العدد 01/ جوان 2002 م - ربيع الثاني 1423 هـ.
8- بونار رابح، المغرب العربي تاريخه وثقافته، دار الهدى، عين مليلة، (الجزائر)، ط 3/د.ت.
9- الجنحاني، تاهرت، المجلة التونسية، عدد 40.
10- الجيلالي عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر ط7/ 1994 م-1415هـ، ج 1.
11- الحافظ أبي أحمد بن علي المعروف بالخطيب البغدادي ،الكفاية في علم الرواية، تحقيق وتعليق: أحمد عمر هاشم، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1/1985م-1405هـ.
12- الحموي ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د.ط/ 1979م - 1399هـ، ج2.
13- الدباغ أبو زيد عبد الرحمن، معالم الايمان في معرفة أهل القيروان، أكمله وعلق عليه، أبو الفضل قاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور وآخرين، مطبعة السنة المحمدية مكتبة الخانجي، مصر، ط 2 /1968 م، ج 2 .
14- الدرجيني أبو زكريا، الطبقات، مخطوط، ج 2، نقلا عن بحاز إبراهيم بكير، الدولة الرستمية.
15- السائحي محمد الأخضر، بكر بن حماد شاعر المغرب العربي في القرن الثالث الهجري، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، د.ط/1986م.
16- السبكي تاج الدين،طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود محمد الطناجي – عبد الفتاح محمد الحلو ، مطبعة عيسى البابي الحلبي القاهرة ط1/1964 م- 1383 هـ ،ج1.
17- السمعاني أبو سعد عبد الكريم ، الأنساب، طبع بالهند ط1/1962 م- 1382 هـ ، ج 1.
18- شاوش محمد بن رمضان،الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد، المطبعة العلوية مستغانم (الجزائر) ط 1 / 1966 م -1385 هـ .

19- الطمار محمد، تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، د.ط/ 1981م.

20- عبد الوهاب حسن حسني،ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية، مطبعة المنار تونس، د ط/1965م.

21- علي مكي محمود ،شاعر المغرب العربي التاهرتي في القرن الثالث الهجري، مجلة العربي العدد 53 ، نقلا عن السائحي، المرجع السابق.

22- القاضي أبو الفضل عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، تحقيق أحمد بكير محمود ، دار مكتبة الحياة، بيروت، د ط/ 1967م- 1387هـ ، ج1.

23- القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني ، دار إحياء الثراث العربي د ط/د ت ج1.

24- القيرواني أبو العرب بن أحمد ، طبقات علماء افريقية ، تحقيق، علي الشابي ونعيم حسن البياني، الدار التونسية للنشر، د.ط /1968 م.

25- المالكي أبو بكر عبد الله، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم وعبادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، قام على نشره حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية، ط 1/ 1951 م، ج1.

26-مجهول، العيون والحدائق في أخبار الحقائق، تحقيق عمر السعيدي، مطبعة دمشق، د ط / 1972 م.

27- مرتاض عبد المالك، الأدب الجزائري القديم دراسة في الجذور، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، د.ط/2001م.

28- المقري أحمد بن محمد،نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت دط /1968م - 1388هـ ، ج2.

29- الميلي مبارك بن محمد،تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مكتبة النهضة الجزائرية، د.ط/1350 هـ، ج 2

30- نويهض عادل ،معجم أعلام الجزائر، منشورات المكتب التجاري ، بيروت د.ط/1971.

31- اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب، البلدان، مطبعة النجف ط 3/دت.